

The emotional experience in the philosophy of Al moutawahid - Ibn Sina as a model-

PhD student. Beradi Abdelrrahmane¹, Pr. Abdelhakim Saim²

^{1,2}University of Oran 2 (Algeria).

The Author's E-mail: b11.abderrahmane@gmail.com¹,
saimabdelhakim@yahoo.fr²

Received: 06/2024

Published: 11/2024

Abstract:

The interest in Islamic moral and educational thought in both ancient and modern studies is essentially an evaluation and specification of human behavior in its various voluntary actions, some of which are good and some are evil. Thus, the science of ethics generally addresses two main axes: good and evil. Through sound ethics, a person learns the virtues and values that shape their behavior and actions, which can vary from one individual to another due to the differences in human natures. Therefore, we propose to clarify and illustrate the essential relationship between ethics and psychological emotions, attempting to understand whether this has an influence and effect on determining and regulating people's behaviors. Among those who have focused on this field is the prominent scholar Avicenna, who is known for linking psychological moods and emotions with ethics. He observed that psychological emotions have an impact on the body, as well as on external behaviors and movements. Given this, we aim to explore the essence of this relationship and its reflections on determining solitary and alienated human behavior.

Keywords: Ethics, Psychological Emotions, Human Behavior, Solitary, Avicenna.

التجربة الانفعالية في فلسفة المتوحد - ابن سينا أنموذجاً -

ط د / عبد الرحمان برادي¹، أ.د / عبد الحكيم صايم²

^{2,1}جامعة وهران 2 (الجزائر).

المخلص:

ان الاهتمام بالفكر الاخلاقي والتربوي الاسلامي في الدراسات سواء القديمة منها أو الحديثة ما هو الا تقريبا وتحديدًا للسلوك الانساني أعماله الإرادية المختلفة، منها ما هو خير ومنها ما هو شر، وبهذا يكون علم الاخلاق يتناول بصفة عامة محورين الخير والشر. وعن طريق الاخلاق السليمة يتعلم الإنسان الفضائل والقيم التي يطبع بها سلوكه وأفعاله بطريقة تختلف من شخص لآخر باختلاف طبائع البشر، ولذلك اقترحنا تبيان وتوضيح العلاقة الجوهرية الموجودة بين الاخلاق والانفعالات النفسية، محاولين معرفة هل لذلك دخل واثر في تحديد وضبط سلوكيات الناس، ومن الذين اهتموا بهذا المجال الشيخ الرئيس ابن سينا الذي عرف عنه انه ربط بين الانفعالات النفسية المزاجية وبين الأخلاق، وراى أن الانفعالات النفسية يظهر أثرها على البدن، بل وعلى التصرفات والحركات الخارجية، وما دام ذلك كذلك نحاول ان نكتشف جوهر هذه العلاقة وانعكاساتها على تحديد السلوك الانساني التوحدي الاغترابي.

الكلمات المفتاحية: الاخلاق، الانفعالات النفسية، السلوك الإنساني، المتوحد، ابن سينا.

مقدمة:

ان طبيعة المجتمعات الإسلامية تختلف اختلافا كبيرا عن طبيعة المجتمعات الاخرى وقضاياها، فبالرغم من هذا الاختلاف الا ان هناك ارتباطا واضحا وامتدادا جذريا يونانيا ظاهرا في الفكر الإسلامي، هذا الاختلاف يبدو بارزا من خلال المدارس اليونانية وما يتعلق خاصة بطبيعة القيم والمبادئ التربوية والاخلاقية وحتى النفسية، ما أدى الى ظهور العديد من المدارس والجماعات الفكرية التي اتخذت مناهج خاصة بها لمعالجة تلك القضايا والموضوعات.

ان محور الاختلاف بين هذه المدارس المتعددة كان جله يدور حول المسائل القديمة من ناحية وحول مناهج البحث المستخدمة في الدراسة والتحليل من ناحية أخرى، فنجد ان الفلاسفة والفقهاء والمتصوفون انقسموا الى اقسام نظرا لاهتماماتهم بالقضايا الأخلاقية والسلوكية والتربوية، ومن هذه المسائل فكرة النفس وانفعالاتها ودورها التربوي والعلاقة بينها وبين السلوك الاخلاقي، اين أخذت هذه المسألة نصيبا من الاهتمام في دائرة الفكر الاسلامي، وهذا ما ارتأينا الوقوف عنده مع الشيخ الرئيس ابن سينا ومعرفة هذه العلاقة الجوهرية بين هذه القضايا التي ربما قد تكون هي المسؤول الاول عن تحديد سلوكيات الاشخاص، ومالها أيضا من تداعيات احبانا تنتهي بالانعزالية والتوحدية والاغترابية.

● الانفعالات النفسية:

الانفعال: هو "الهيئة الحاصلة للمتأثر عن غيره بسبب التأثير"⁽¹⁾. وهو "حالة وجدانية يثيرها مؤثر ما في الكائن الحي، وتصحبها تغيرات فسيولوجية، وتكون الإثارة نتيجة لتعطيل فعل أو سلوك ينزع إليه الفرد أو نتيجة لتحقيق رغبة"⁽²⁾.

وعرفت الانفعالات لنفسية بأنها: "حالة جسمية نفسية ثائرة، أو حالة من الاهتمام العام تفصح عن نفسها، في شعور الفرد، وجسمه وسلوكه، ولها القدرة على حفزه على النشاط، وبذا يكون الفزع والهلع، من الانفعالات"⁽³⁾.

⁽¹⁾ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، التعريفات، تحقيق: وضبط وتصحيح جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، (1403هـ - 1983م)، ص39.
⁽²⁾ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد3، عالم الكتب، (د، ط)، 2008، ص1725.

كما عرفت الانفعالات النفسية بأنها: "حالة من اللاتوازن بين الكائن الحي(الحيوان والإنسان) من جهة والمثيرات الخارجية (المادية والاجتماعية) من جهة أخرى، مما يؤدي إلى ظهور الانفعالات بصورة مفاجئة، ولحظية، تدفعنا للاقتراب من الشيء أو الابتعاد عنه.

• العلاقة بين الانفعالات النفسية والأخلاق:

العلاقة بين الأخلاق والانفعالات النفسية هي علاقة تداخل وتفاعل معقدة جدا، حيث تؤثر الانفعالات النفسية في السلوك الأخلاقي، كما أن الممارسات الأخلاقية تؤثر بدورها على الانفعالات، ويمكن تفصيل هذه العلاقة من عدة زوايا:

- تأثير الانفعالات على السلوك الأخلاقي: الانفعالات النفسية مثل الغضب، الحزن، الفرح، والخوف تؤثر بشكل كبير على اتخاذ القرارات الأخلاقية. فعلى سبيل المثال، قد يؤدي الغضب إلى تصرفات غير أخلاقية كالعنف أو التجاوز، في حين يمكن أن يعزز الشعور بالتعاطف القرارات الأخلاقية التي تتسم بالرحمة والتضحية.

- ضبط الانفعالات والالتزام الأخلاقي: من الناحية الأخلاقية، القدرة على التحكم في الانفعالات تعتبر جزءاً أساسياً من السلوك الأخلاقي. ضبط النفس في مواجهة الإغراءات أو الانفعالات السلبية يعزز الالتزام بالقيم والمبادئ الأخلاقية. الشخص الذي يستطيع ضبط مشاعره يكون أكثر قدرة على اتخاذ قرارات تتماشى مع المعايير الأخلاقية، خاصة في المواقف التي تتطلب الصبر أو التسامح.

- تأثير الأخلاق على الانفعالات: القيم والمبادئ الأخلاقية تؤثر في كيفية تقييم الأفراد لانفعالاتهم وكيفية التعامل معها. السلوك الأخلاقي الصحيح يعزز مشاعر الرضا، السلام الداخلي، والسعادة. على النقيض، الأفعال غير الأخلاقية قد تولد مشاعر سلبية مثل الندم أو الشعور بالذنب.

- الدوافع الانفعالية للسلوك الأخلاقي: العديد من الانفعالات الإيجابية مثل التعاطف والامتنان تعتبر محفزات للسلوك الأخلاقي. التعاطف مع الآخرين يدفع الإنسان إلى التصرف بشكل يتسم بالرحمة والعدل، في حين أن مشاعر الامتنان قد تشجع على رد الجميل وحسن التعامل مع الآخرين.

وتترجم الانفعالات النفسية في هيئة لغة، وتتسم اللغة الانفعالية بالعديد من الخصائص منها:

الخصائص الصوتية: حيث يحمل الصوت في طياته انفعال المتكلم، حيث نجد في اللغة ارتفاع الصوت، والسرعة في النطق، والخصائص التنغيمية التي تظهر بوضوح من خلال الضغط على مقاطع معينة وعلى مقاطع أخرى كذلك، فالمتكلم قد يغير من نبرة كلامه المعتادة، وتعبيره المعروف وذلك من أجل تعبیر السخرية، أو الاستهزاء، أو الغضب وغير ذلك، بحسب المواقف الانفعالية وطبيعة الانفعالات الشخصية⁽¹⁾.

⁽³⁾ إبراهيم عبدالرحيم محمد، الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس فلسطين، 2009م، ص12.

⁽¹⁾ عبدالرحيم إبراهيم فواتيح، اللغة الانفعالية ومغزى الرؤية الشعرية السياسية قصيدة عزاء على بطاقة تهنئة لأحمد مطر نموذجاً، مج 7، العدد:1، جامعة احمد بن يحيى الوشريسي، تيسمسيلت الجزائر، 2022، ص305-306.

الخصائص البنائية: قد يحدث في أبنية الكلمة العديد من التغيرات التي تكون نتيجة الانفعالات، من إضافة سوابق ولو احق للكلمة، وأبنية تغير من صورتها، وهذا التغيير ناجم عن الانفعالات، كما في قوله تعالى: { وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْبَ لَكَ } [يوسف: 23]، وغلق بالتشديد للتكثير، ولا يقال: غلق الباب، وأغلق يقع للكثير والقليل⁽¹⁾، والتشديد في الغلق قد يكون بتكثير الأغلق، أي الأقفال، أو بكثرة الإيثاق، فإن تحكم الإغلق⁽²⁾، وهذا التعبير من خلال بنية الكلمة يدل على شدة انفعال امرأة العزيز على سيدنا يوسف عليه السلام⁽³⁾، وإحكام إغلاق الأبواب حتى لا يتمكن أحد من فتحه⁽⁴⁾.

إن اكتساب أي خير، أو الهروب من شر ما محتمل كي نشعر بأننا مدفعون إلى الرغبة فيه، ولكن حين نأخذ في الاعتبار مدى حظنا الظاهر في الحصول على ما نرغب فيه، فإن من يصور لنا أن حظنا كبير يثير فينا الرجاء، فالانفعالات هي عبارة عن إدراكات أو إحساسات، أو تأثيرات النفس، وتنسب بشكل خاص إلى النفس لغيرها، فالانفعالات تسمى إدراكات؛ لأن الإدراكات هي عبارة عن جميع الأفكار التي ليست أفعالاً للنفس، ولا بإرادات. كما أن الانفعالات في عداد الإدراكات، التي تجعلها الرابطة الوثيقة بين النفس والبدن، مضطربة وغامضة، كما تدعى أيضاً تأثيرات النفس لأن هذه التسمية تطابق كل ما يحدث في النفس من تغيرات، كما أنه لا يوجد شيء يمكن أن يهز النفس ويحركها من الأفكار، سوى الانفعالات، فالانفعالات تأثيرات تنسب إلى النفس، وتسببها النفس ذاتها⁽⁵⁾.

النتيجة الأساسية للانفعالات هي أنها تحفز النفس وتجهزها لاستقبال الأمور التي تم إعداد الجسم للتعامل معها. فعلى سبيل المثال، الشعور بالخوف يدفع النفس إلى الاستعداد للهروب، بينما الشعور بالثبات يحفزها للإقدام على المواجهة والقتال؛ ولكي تثار الانفعالات في النفس لا بد من بذل الجهد والوسع في تفحص الأسباب والأغراض والأمثلة المقنعة بأن الخطر كبير أم صغير، حقيقي أم وهمي، وهل على النفس أن تهرب أم لا، والموازنة لحظة الخوف بين شرف النصر، وعار الهزيمة، وهناك سبب يمنع النفس من التحكم في انفعالاتها، ووقفها بسرعة، وذلك لارتباط الانفعالات بشبكة معدة في الجسم، تجعلها باقية وحاضرة في فكر الإنسان⁽⁶⁾.

إن العلاقة بين الانفعالات النفسية والأخلاق تظهر من حديث النبي-صلى الله عليه وسلم-
عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَأَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟»

(1) النَّحَّاسُ أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، إعراب القرآن، ج2، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1421هـ)، ص198.

(2) الماوردي، النكت والعيون، مراجعة وتعليق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ج3، (د،ط)، دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ص22.

(3) عبدالرحيم إبراهيم فواتيح، المرجع السابق، ص306.

(4) علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى: 468هـ)، التفسير البسيط، ج12، تح: مجموعة محققين، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض- السعودية، ط1، (1430هـ)، ص66.

(5) رينيه ديكرت، انفعالات النفسية، تر: جورج زيناتي، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط1، (1413هـ، 1993م)، صص27-32.

(6) رينيه ديكرت، انفعالات النفس، المصدر السابق، صص33-37.

إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ حَوْلَكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبَسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»⁽¹⁾.

قوله: (إنك امرؤ فيك جاهلية) يريد إنك في تعبيره بأمة على خلق من أخلاق الجاهلية، لأنهم كانوا يتفاخرون بالأنساب، فجهلت وعصيت الله في ذلك، ولم تستحق بهذا أن تكون كاهل الجاهلية في كفرهم بالله تعالى⁽²⁾.

فالحديث تبرز فيه العلاقة بوضوح بين الانفعالات النفسية والأخلاق، وتظهر من خلال ما يلي:

● الغضب والانفعال السلبي:

سبَّ أبو ذر رضي الله عنه رجلاً وعيَّره بأمه، وهو سلوك يدل على انفعال نفسي سلبي (الغضب)، والغضب كمثال من الانفعالات النفسية قد يدفع الإنسان إلى ارتكاب أفعال غير أخلاقية سلبية، مثل الإساءة أو الإهانة، كما حدث في هذه الواقعة، والإساءة اللفظية الناتجة عن الانفعال السلبي تُعتبر تعبيراً عن "الجاهلية" التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم، وهي حالة نفسية غير منضبطة.

● التوجيه الأخلاقي للانفعال النفسي:

وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- أبا ذر نحو الالتزام بالمعايير الأخلاقية السامية التي تحكم التعامل مع الآخرين، وخاصة من هم تحت سلطته أو مسؤوليته (مثل العبيد أو الخدم)، وعليه فمن الضروري التخلص من آثار الانفعالات السلبية المرتبطة بالعصبية القلبية أو الفوقية، ويؤكد النبي أن السلوك الأخلاقي يجب أن يقوم على أساس العدل والمساواة بين البشر.

● التوجيه النفسي للتحكم في الانفعالات:

نبه النبي -صلى الله عليه وسلم- أبا ذر إلى أن تصرفه كان نتيجة لجهل، وليس فقط خطأ أخلاقياً. الإشارة إلى "الجاهلية" هنا تحمل معنيين: الأول هو عدم التحكم في الانفعالات النفسية السلبية، والثاني هو الانحراف عن السلوك الأخلاقي الصحيح، والنصح بضبط الانفعالات النفسية يعزز السلوك الأخلاقي الإيجابي الذي يشمل عدم التمييز أو الإساءة إلى الآخرين.

● تعزيز الأخلاق من خلال الرعاية والعدل:

لم يكتف النبي -صلى الله عليه وسلم- بالنهي عن الإساءة، بل أعطى تعليمات إيجابية حول كيفية التعامل مع من هم تحت يد الإنسان. يشير إلى أن الإخوة من العبيد أو الخدم يجب معاملتهم بالعدل، ومشاركتهم في الطعام واللباس، وهو مظهر من مظاهر الأخلاق الرفيعة، وبذلك يتبين أن

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، مج 1، حديث رقم 30، ص 15.

(2) علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطلال أبو الحسن (المتوفى: 449هـ)، شرح صحيح البخاري، ج 1، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط 2، (1423هـ - 2003م)، ص 85.

ضبط الانفعالات النفسية السلبية، مثل الغضب يؤدي إلى السلوك الأخلاقي الإيجابي، الذي يقوم على الرعاية والعدل والرحمة.

• الارتباط بين الانفعالات النفسية والسلوك الأخلاقي:

العلاقة بين الانفعالات النفسية والسلوك الأخلاقي تظهر بوضوح في الحديث، الانفعالات السلبية، مثل الغضب والإهانة، تؤدي إلى السلوك غير الأخلاقي مثل الإساءة للآخرين. في المقابل، عندما يتم ضبط الانفعالات النفسية والسيطرة عليها، يؤدي ذلك إلى سلوك أخلاقي سام، مثل العدل، الإحسان، وعدم تحميل الآخرين ما لا يطيقون.

• الجزاء النفسي للسلوك الأخلاقي:

من خلال الامتثال لتوجيهات النبي صلى الله عليه وسلم، يحصل الإنسان على مكافأة نفسية داخلية تتمثل في الشعور بالراحة والرضا. السلوك الأخلاقي تجاه الآخرين يعزز مشاعر الانسجام النفسي، بينما السلوك غير الأخلاقي، مثل التحقير أو الإهانة، يولد مشاعر سلبية مثل الندم والذنب، وهو ما يمكن أن يكون قد شعر به أبا ذر بعد تنبيه النبي.

• البعد الاجتماعي والأخلاقي:

يعزز الحديث قيمة الأخلاق في العلاقات الاجتماعية، وخاصة مع أولئك الذين قد يعتبرهم البعض في منزلة أدنى اجتماعيًا أو اقتصاديًا، الانفعال النفسي بالفوقية أو الغضب تجاه هؤلاء يؤدي إلى السلوك الجاهلي، في حين أن السلوك الأخلاقي القائم على التواضع والعدل يؤدي إلى تقوية الروابط الاجتماعية ويعزز المساواة.

فما صدر من أبي هريرة -رضي الله عنه- هو انفعال نفسي أثار غضبه، ما جعله يصدر عنه خلق من أخلاق الجاهلية، وهو السبُّ والشتم.

ومن الأحاديث التي تكشف عن العلاقة بين الانفعالات النفسية والأخلاق ما جاء رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي؟ قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، قَالَ: قَالَ الرَّجُلُ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ، فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ»⁽¹⁾.

الغضب جماع الشر، قال جعفر بن محمد: الغضب مفتاح كل شر. وقيل لابن المبارك: اجمع لنا حسن الخلق في كلمة، قال: ترك الغضب. وكذا فسر الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه حسن الخلق بترك الغضب، وقد روي ذلك مرفوعاً، خرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب " الصلاة " من حديث أبي العلاء بن الشخير «أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه، فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ فقال: "حسن الخلق" ثم أتاه عن يمينه، فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل فقال: "حسن الخلق"، ثم أتاه عن شماله فقال: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: حسن الخلق ثم أتاه من بعده، يعني: من خلفه، فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟

(1) أخرجه أحمد في المسند، 236/38، حديث رقم 23171. قال الهيثمي: "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر بن سليمان أبو الحسن نور الدين الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، مج 8، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، 1994م، ص 69.

فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " مالك لا تفقه! حسن الخلق هو أن لا تغضب إن استطعت" (1).

ومن الحديث يتضح ما يلي:

يعتبر الغضب من أقوى الانفعالات النفسية التي تؤثر على قدرة الإنسان على التفكير العقلاني واتخاذ قرارات أخلاقية، وعندما يفقد الإنسان السيطرة على نفسه بفعل الغضب، فإنه يصبح أكثر عرضة للقيام بسلوكيات غير أخلاقية، مثل العدوانية، التجاوز، والتصرفات غير اللائقة. لهذا السبب، يصف الصحابي الغضب بأنه "يجمع الشر كله"، مما يشير إلى قدرة الغضب على أن يكون بوابة لكل السلوكيات السلبية.

الغضب لا يؤدي فقط إلى الضرر الفردي، بل يمتد ليشمل الآخرين من خلال الصراعات والخصومات، وعندما يغضب الفرد، يمكن أن يتسبب ذلك في تفاقم المشاكل بين الناس، سواء في الأسرة أو في المجتمع. بالتالي، الغضب لا يهدد فقط الأخلاق الفردية، بل يُعد عنصرًا مسببًا للشور الاجتماعي العامة.

الانفعالات النفسية مثل الغضب لها تأثير مباشر على جودة القرارات التي يتخذها الإنسان. عندما يُغضب الفرد، فإن تفكيره يصبح مشوشًا، ويفقد القدرة على التقييم العقلاني للموقف، مما يجعله أكثر عرضة لاتخاذ قرارات غير أخلاقية، من هنا، فإن التحكم في الغضب لا يقتصر على مجرد الابتعاد عن الانفعال، بل يتعلق بتحسين نوعية القرارات الأخلاقية التي يتخذها الشخص في حياته اليومية.

الصحابي الذي طلب الوصية، عند تفكره في مغزى قول النبي صلى الله عليه وسلم، يصل إلى نتيجة أن الغضب "يجمع الشر كله". هذا التفكير يدل على أن الانفعال بالغضب ليس مجرد حالة نفسية عابرة، بل هو نقطة انطلاق لسلسلة من السلوكيات التي تمثل انحيازًا في الأخلاق. هذا الإدراك يتفق مع النظريات النفسية الحديثة التي ترى أن الغضب يمكن أن يغير من الإدراك والتصرف، مما يدفع الإنسان نحو أفعال قد تكون غير منسجمة مع قيمه الأخلاقية.

ومن هنا ندرك أن العلاقة بين الانفعالات النفسية والأخلاق كبيرة وخطيرة، ومتشابكة.

قسم ابن سينا النفس الحيوانية إلى قوتين: القوة النزوعية والشوقية، وهي يصدر عنها الانفعال النفسي الشهوة والغضب، والثانية: قوة تنبعث في الأعصاب والعضلات، فتنقبض وتنبس، وهي أيضاً تتأثر بالانفعالات النفسية (2).

قال ابن سينا: "القوى الطبيعية تسمى عندهم قوة نفسانية. وأما إذا لم يرد بالنفس هذا المعنى بل عنى به قوة هي مبدأ إدراك وتحريك تصدر عن إدراك ما بارادة ما وأريد بالطبيعة كل قوة

(1) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي دمشقي الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، ج1، تح: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط7، (1422هـ - 2001م)، ص363.

(2) بولس مسعد، ابن سينا الفيلسوف بعد تسعمائة سنة على وفاته، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، (د-ط)، 2020، ص40.
1887

يصدر عنها فعل في جسمها على خلاف هذه الصورة لم تكن هذه القوة نفسانية بل كانت طبيعية، وأعلى درجة من القوة التي يسميها الأطباء طبيعية. وأما إن سمي بالطبيعية ما يتصرف في أمر الغذاء وحالته سواء كان لبقاء شخص أو بقاء نوع لم تكن هذه طبيعية وكانت جنسا ثالثا. ولأن الغضب والخوف وما أشبههما انفعال لهذه القوة⁽¹⁾.

ويظهر العلاقة بين الانفعالات النفسية والأخلاق عند ابن سينا من قوله: "أحكام نبض العوارض النفسانية أما الغضب فإنه بما يشير من القوة ويبسط من الروح دفعة يجعل النبض عظيما شاهقا جداً سريعاً متواتراً، ولا يجب أن يقع فيه اختلاف؛ لأن الانفعال متشابه إلا أن يخالطه خوف، فتارة يغلب ذلك، وتارة هذا وكذلك إن خالطه خجل، أو منازعة من العقل وتكلف الإمساك عن تهيجه، وتحريكه إلى الإيقاع بالمغضوب عليه"⁽²⁾.

وهذا القول يتضح منه ما يلي:

يشير ابن سينا إلى أن الانفعالات مثل الغضب، لها تأثيرات مباشرة على سلوك الفرد، حيث تجعل "النبض عظيماً شاهقاً جداً سريعاً متواتراً"، وهذا يعني أن الغضب يحفز الجسم ويزيد من نشاطه الفسيولوجي، مما قد يؤدي إلى تصرفات قد لا تعكس القيم الأخلاقية للفرد.

يوضح ابن سينا أن الغضب يمكن أن يتداخل مع المشاعر الأخرى مثل الخوف أو الخجل، مما قد يغير من طبيعة الانفعال وتأثيره على السلوك.

عندما يختلط الغضب بالخوف، قد يضعف ذلك من تأثير الغضب، مما يعني أن الاستجابة الغاضبة قد تُقابل بالتراجع أو الانسحاب. في المقابل، إذا كان الغضب مصحوباً بالخجل أو القلق من ردود الفعل الاجتماعية، فقد يؤدي ذلك إلى كبح جماح الانفعال، وهو ما يعكس سلوكاً أكثر عقلانية وأخلاقية.

قوله: "تكلف الإمساك عن تهيجه"، يعكس أهمية الوعي الذاتي والقدرة على ضبط النفس. عندما يكون الفرد قادراً على التحكم في انفعالاته، فإنه يظهر التزاماً بالقيم الأخلاقية، حتى في الأوقات الصعبة.

يمكن أن تكون النتائج المترتبة على الانفعالات النفسية معقدة. فإذا استسلم الفرد للغضب دون ضبط، فقد يتسبب ذلك في أذى للآخرين، مما يتعارض مع المبادئ الأخلاقية. بينما إذا تمكن من إدارة انفعالاته، قد يؤدي ذلك إلى تصرفات أكثر رحمة وتفهماً.

وتظهر رؤية ابن سينا للعلاقة القوية بين الانفعالات النفسية والأخلاق عند حديثه عن مواصفات المرضع، قال: "وأما في أخلاقها، فإن تكون حسنة الأخلاق محمودتها بطيئة عن الانفعالات النفسانية الرديئة من الغضب والغم والجبن وغير ذلك فإن جميع ذلك يفسد المزاج وربما أعدى بالرضاع"⁽³⁾.

فكلام ابن سينا يبرز مدى العلاقة بين الانفعالات النفسية والأخلاق، والتي تتضح مما يلي:

(1) ابن سينا، الحسين بن عبد الله أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس (المتوفى: 428هـ)، القانون في الطب، ج1، تح: وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د-ط)، (د-ت)، ص99.

(2) ابن سينا، المصدر نفسه، ج1، ص182..

(3) ابن سينا، المصدر نفسه، ج1، ص206.

الأخلاق الحميدة تتطلب التوازن والاعتدال، فوصف المرضع بأن تكون "حسنة الأخلاق محمودتها بطيئة عن الانفعالات النفسانية الرديئة" يشير إلى أهمية السيطرة على الانفعالات السلبية، مثل الغضب والغم والجبن، كشرط أساسي لتطوير أخلاق قوية.

تتضمن الانفعالات النفسية الرديئة المشاعر السلبية التي قد تؤثر سلبيًا على المزاج والسلوك. النص يذكر "الغضب والغم والجبن" كأمثلة على هذه الانفعالات، مما يدل على أنها ليست مجرد عواطف عابرة، بل تؤثر بشكل جذري على الكيان النفسي للفرد.

الانفعالات السلبية يمكن أن تؤدي إلى تدهور المزاج، مما يعزز من إمكانية اتخاذ قرارات متهورة وغير أخلاقية. على سبيل المثال، الغضب قد يدفع الفرد إلى تصرفات عدوانية، بينما الهم والغم قد يعززان من حالة الانسحاب والفشل. هذا الأمر يشير إلى أن الانفعالات ليست محايدة، بل لها القدرة على تغيير طبيعة السلوك الإنساني.

قول ابن سينا: "تفسد المزاج وربما أهدى بالرضاع". هذه العبارة تعكس كيف يمكن أن تؤثر المشاعر السلبية ليس فقط على الفرد نفسه، بل أيضًا على علاقاته بالآخرين؛ إذ يمكن أن تؤدي الانفعالات السلبية إلى توتر العلاقات الاجتماعية وغياب الثقة بين الأفراد، مما ينعكس سلبيًا على المجتمع ككل.

الأخلاق الجيدة تساهم في بناء علاقات صحية ومثمرة. الأفراد الذين يتحلون بالأخلاق الحميدة غالبًا ما يكونون أكثر قدرة على التواصل الفعال والتعاون مع الآخرين، بينما الانفعالات السلبية، كما ذكر، قد تؤدي إلى تدمير الروابط الاجتماعية وتوليد النزاعات.

من المهم ملاحظة أن التعامل مع الانفعالات النفسية ليس مسألة سهلة، بل يتطلب وعيًا ونضجًا. يمكن تطوير الأخلاق الحميدة من خلال الوعي بالانفعالات، مما يتيح للفرد التحكم بها بدلاً من أن تتحكم فيه. هذا يتطلب استراتيجيات مثل التأمل، والوعي الذاتي، والتفكير النقدي، التي تعزز من القدرة على التعامل مع المشاعر السلبية بطرق بناءة.

ويبين ابن سينا تأثير الانفعالات النفسية على البدن، ومن ثم على الأخلاق، قال ابن سينا: "وأما الانفعالات النفسانية فيجب أن يرجع فيه إلى كلامنا في الكليات وقد بينا تأثيرها في القلب بتوسط الروح وكل ما أفرط منها في تأثير خائق للحار الغريزي إلى باطن أو ناشر إياه إلى خارج فقد يبلغ أن يحدث غشياً بل يبلغ أن يهلك. والغضب من جملتها أقل الجميع فإن الغضب قلماً يهلك"⁽¹⁾.

يمكن من خلال كلام ابن سينا الربط بين الانفعالات النفسية والأخلاق من خلال ما يلي:

يدل كلام ابن سينا على أن الانفعالات تُحدث تأثيرًا في القلب عن طريق الروح. يُفهم من هذا أن الانفعالات ليست مجرد تجارب عاطفية سطحية، بل لها جذور عميقة تؤثر على الحالة الداخلية للفرد. يمكن القول إن هذه الانفعالات تتحكم في المزاج والنفسية، مما ينعكس على تصرفات الفرد وتوجهاته الأخلاقية.

⁽¹⁾ ابن سينا، المصدر نفسه، ج2، ص 376.
1889

يركز ابن سينا على قضية الإفراط في الانفعالات، حيث يُشير إلى أن أي انفعال يتجاوز الحد الطبيعي يمكن أن يصبح "خائفًا للحرار الغريزي"، وهذا يعني أن الانفعالات القوية تؤثر على الطاقة الحيوية للفرد، وتُعيق قدرته على التصرف بطرق عقلانية وأخلاقية.

يعتبر الغضب أحد الانفعالات النفسية، ولكنه يُعتبر الأقل ضررًا مقارنةً بالانفعالات الأخرى. الغضب، رغم قوته وتأثيره، لا يؤدي غالبًا إلى فقدان كامل للوعي أو الهلاك، وهذا يبرز أهمية فهم الغضب كظاهرة إنسانية يمكن إدارتها والتحكم فيها، مما يسمح للأفراد بالاستجابة بطريقة أخلاقية.

تلعب الانفعالات دورًا حاسمًا في تشكيل سلوك الأفراد وأخلاقهم. عند تجاوز الانفعالات حدودها الطبيعية، تصبح مُهددة للأخلاق والطباع الإنسانية، فعندما يكون الفرد تحت تأثير انفعال قوي، مثل الغضب أو الحزن، قد يتصرف بشكل غير أخلاقي، مما يُعرض سلوكياته للآذى.

إن القدرة على التحكم في الانفعالات، خاصة تلك السلبية، تعتبر مؤشرًا على النضج الأخلاقي، فيُظهر الأفراد الذين يسيطرون على انفعالاتهم قدرة أكبر على اتخاذ قرارات مستنيرة، تتماشى مع قيمهم الأخلاقية، وبالتالي، فإن التحكم في الانفعالات يساهم في تعزيز الأخلاق الحميدة.

قال ابن سينا: "وأما الكائن عن لطف حس القلب وعن أدنى ريح يتولده وأدنى أذى يتأذى إليه فيعرف ذلك من قوة النبض وصحة النفس والسلامة في سائر الأعضاء. وقوة النبض وعظمه أدل دليل عليه ويؤكد أنه يكون البدن مع تواتر هذا الخفقان سليما والقوة محفوظة والعادة في الأفعال صحيحة وأكثر ما يعرض هذا للذين يظهر على وجوههم تأثير الانفعالات النفسانية وإن قَلَّتْ، مثل: فرح أو غم، أو هم أو غضب أو نحو ذلك"⁽¹⁾.

وقال ابن سينا رابطاً بين انفعالات النفس والأخلاق: "القوة الحيوانية فيعون بها القوة التي إذا حصلت في الأعضاء هيأتها لقبول قوة الحس والحركة وأفعال الحياة، ويضيفون إليها حركات الخوف والغضب لما يجدون في ذلك من الانبساط والانقباض العارض للروح المنسوب إلى هذه القوة"⁽²⁾.

يتضح من كلام ابن سينا أن فهم القوة الحيوانية وتأثيرها على الانفعالات النفسية، يتضح أن هناك ترابطاً قوياً بين هذه الانفعالات والسلوك الأخلاقي. الانفعالات مثل الخوف والغضب، إذا لم تُدار بشكل مناسب، يمكن أن تؤدي إلى تصرفات غير أخلاقية أو تؤثر سلباً على اتخاذ القرارات.

ربط ابن سينا بين الانفعالات النفسية والأخلاق، وبين أن الانفعالات النفسية يظهر أثرها على البدن، بل وعلى التصرفات، قال ابن سينا: "حاصل علامات المعتدل المزاج علاماته المجموعة الملتقطة هي: موادة الأعضاء في حركاتها وسلاسة وقوة من التخيل والتفكير، والتذكر وتوسط من الأخلاق بين الإفراط والتفريط؛ أعني التوسط بين التهور والجبن، والغضب والخمول، والرقّة والقساوة، والطيش والتية، وسقوط النفس وتمام الأفعال كلها"⁽³⁾.

(1) ابن سينا، القانون في الطب، ج2، ص381.

(2) ابن سينا، نفسه، ج1، ص98.

(3) ابن سينا، المصدر نفسه، ج1، ص163.

الخاتمة:

ومما سبق يتضح ان ابن سينا بين ووضح التوأمة الموجودة بين الأخلاق والانفعالات النفسية، وهو ما ينعكس في سلوكيات الناس، فالفرد المعتدل المزاج يتسم بحالة من التوازن الداخلي، كالمتوحد أو المغترب مثلاً لأنه في علاقة دائمة ومتواصلة مع القوة العليا للتأمل في ذات الله ويفرد بعزلته عن الناس، مطلقاً ومبتعداً عن كل ما يشغل نفسه ويمنعها من التواصل المباشر مع الله، وهذا يشمل توازن الجسد وانسجام وظائفه المختلفة، وتوازن النفس من خلال قدرته على السيطرة على انفعالاته وأخلاقه، والاعتدال هنا يعني أن تكون أعضاء الجسد "مواتية" في حركاتها، أي أن تتحرك بشكل طبيعي وسلس، ويُظهر ذلك انسجاماً بين وظائف الأعضاء الحسية والحركية، مما يساهم في تمكين الشخص من التصرف بلياقة وسلاسة في المواقف المختلفة، والشيخ الرئيس ركز على الأخلاق المتوازنة بوصفها سمة أساسية للشخص الذي يملك اعتدالاً في المزاج فيظهر هذا الفرد اعتدالاً بين النقيضين في السلوك الأخلاقي والانفعالات:

*التهور والجبن: أي القدرة على التحكم في مشاعر الخوف والشجاعة، بحيث لا يكون الفرد متهوراً ولا جباناً، بل شجاعاً بما يكفي لمواجهة المواقف الصعبة دون إفراط.

*الغضب والخمول: يُظهر المعتدل تحكماً في الغضب بحيث لا يكون غاضباً بشكل مفرط ولا خاملاً أو غير مبالي، بل يتمتع بالحكمة في ضبط انفعالاته والتصرف بهدوء.

*الرقّة والقساوة: الشخص المعتدل المزاج لا يكون مفرطاً في مشاعره، فلا يكون قاسياً ولا رقيقاً لدرجة الضعف، بل يتسم بالحكمة والرحمة المعتدلة.

*الطيش والتهيه: التوازن بين الحماسة المفرطة واللامبالاة. فلا يكون الفرد طائشاً يندفع دون تفكير، ولا يكون تائهماً أو فاقداً للاتجاه.

*سقوط النفس: يُشير هذا إلى الكرامة الشخصية وتقدير الذات، فالمعتدل المزاج يتجنب الانغماس في مشاعر الانحطاط الذاتي أو احتقار النفس.

المراجع:

- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، التعريفات، تحقيق: وضبط وتصحيح جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، (1403هـ - 1983م).

- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد3، عالم الكتب، (د، ط)، 2008،

- إبراهيم عبدالرحيم محمد، الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس فلسطين، (2009م).

- عبد الرحيم إبراهيم فواتيح، اللغة الانفعالية ومعزى الرؤية الشعرية السياسية قصيدة عزاء على بطاقة تهنئة لأحمد مطر نموذجاً، مج 7، العدد:1، جامعة احمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت الجزائر، (2022م).

- النَّحَّاسُ أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)،
إعراب القرآن ، ج2، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1421هـ).
- الماوردي، النكت والعيون، مراجعة وتعليق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ج3،
دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان(د،ط)، (د،ت).
- علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى: 468هـ)،
التفسير البسيط، ج12، تح: مجموعة محققين، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية، الرياض-السعودية، ط1، (1430هـ).
- رينيه ديكرت، انفعالات النفسية، تر: جورج زيناتي، دار المنتخب العربي للدراسات
والنشر، بيروت-لبنان، ط1، (1413 هـ ، 1993م).
- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر
صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، مج1، حديث رقم 30.
- علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطلال أبو الحسن (المتوفى: 449هـ) ، شرح صحيح
البخاري، ج1، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط2، (1423هـ -
2003م).
- أخرجه أحمد في المسند، 236/38، حديث رقم23171. قال الهيثمي: "رواه أحمد،
ورجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر بن سليمان أبو الحسن نور
الدين الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، مج 8، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414
هـ، (1994م).
- عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي (المتوفى:
795هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ج1، تح: شعيب
الأرنؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، لبنان، ط7، (1422 هـ - 2001م).
- بولس مسعد، ابن سينا الفيلسوف بعد تسعمائة سنة على وفاته، مؤسسة هنداوي، المملكة
المتحدة، (د-ط)، 2020.
- ابن سينا ، الحسين بن عبد الله أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس (المتوفى:
428هـ)، القانون في الطب، ج1، تح: وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية،
بيروت لبنان، (د-ط)،(د-ت).